الفِيسبوك والأَبْحاث

هل سيحلُّ الفيس بوك محلَّ الاختبارات النفسية والدراسات الاستقصائية التَّقْلدية بالنسبة لعلماء الاجتماع الذين يقومون بدراسة السُّلوك البشري؟

أَصْبحَ الفيسبوك جُزءًا مهمًّا من الحياة اليوميَّة لنحو مليارَيْ شخص في جميع أنحاء العالم. وفي حين استَكْشَف كثيرٌ من الباحِثين تأثيرَ الفيسبوك في الأفراد والمجتمَعات، فقد جرى تجاهلُ دَوْره كأداة بحثٍ قويَّة إلى حدٍّ كبير؛ فالحصولُ على عيِّناتٍ كبيرة ومتنوِّعة يُقدِّمُها الفيسبُوك يمكن أن يساعدَ على تَلْبية جانبٍ كبير من التحدِّي والصُّعوبة في العلوم الاجتماعيَّة (من خلال طرح الأسئلة والاستبيانات وما إلى ذلك)، مثل اعتمادِها المفرِط على عيِّناتٍ صغيرة نسبيًا، من الطلاَّب وبعض الفئات الخاصَّة (كالمتعلِّمين والأغنياء ... إلخ). وعلاوةً على ذلك، يمكن استخدامُ الفيسبوك للالتفافِ على القُيُود التي تتَّصِف بها التَّقاريرُ الذاتية والدراسات المختبريَّة، وذلك من خلال تَوْفير إمكانية الوُصُول إلى سِجلاَّت السُّلوك الفِعْلي الحادِث في بيئةٍ طبيعية (انظر فصل: الفيسبوك ودراسة السُّلوك البشري).

إنَّ استخدامَ الفيسبوك في مَجالِ البُحُوث يُؤدِّي إلى نتائجَ قويَّةٍ عمومًا، ويمكن أن يكونَ سهلاً بدرجةٍ مهمَّة.

ربَّما، يَسْتطيع الباحثون اليومَ من خلال استخدام الطُّرُق المُحَوْسَبَة الاستفادةَ من مقادير كبيرة من المَعْلومات المستقاة من نحو مليارَيْ مستخدِم للفيسبوك، وفتح آفاقٍ جديدة لدراسة الشخصية البشرية والسُّلوك البشري.

وعلى الرغم من الوجود الواسع لبيئات وسائل التواصل الاجتماعي الأخرى، مثل تويتر أو يوتيُوب، لكن يَبْدو أنَّ الفيسبوك بيئةٌ ممتازة لأبحاث العلوم الاجتماعية؛ فحساباتُ الأشخاص على الفيسبوك تحتوي على الكثير من المعلومات السكَّانية (الدِّيموغرافية) والصِّفات السُّلوكية التي تعبِّر في معظم الأَحْيان عـــن الحالةِ الشَّخْصية أكثر من باقي مواقع التواصُل الاجتماعي. كما وُجِدَ أنَّ المعلوماتِ على الفيسبوك ذات دقَّة عالية.

يسمح حجمُ المعلومات الكبير على الفيسبوك باكتشاف نماذج لا يمكن اكتشافُها باستخدام أساليب الاستقصاء التقليدية؛ فعندَ تَحْليل ودراسة إعجابات ملايين المستخدِمين على الفيسبوك مثلاً، فإنَّنا نَسْتطيع إظهارَ النَّماذج الخفيَّة التي يَصْعُب كشفُها بالطرق التَّقْليدية الأخرى؛ فعلى سبيل المثال، إذا هناك شخصٌ ما يحبُّ شيئًا ما، من الصعب على المحلِّل البشري ترجمة هذا الشيء للتنبُّؤ بصفةٍ شخصية معيَّنة، ولكنَّ الحاسوبَ يمكنه وَضْعها في سِيَاق ملايين المستخدمين الآخرين؛ ويمكن في مثل هذه الحالة الاستنتاجُ بأنَّ هذا الشخصَ ذكيّ، لكنَّه انطوائِيّ.

أظهرَ أحدُ البحوث بأنَّ اللايكات أو الإعجابات على الفيس بوك تُنْبِئ بالسَّمات الشخصية للأفراد بشكلٍ أفضل من أَصْدقاء الشخص أو أفراد عائلتِه؛ ومن هنا تأتي أهمِّية الفيسبوك وغيره من وسائل التواصل الاجتماعي كأداة بحث في العلوم الاجتماعية.

من المنافِع الأخرى للبُحوث بالاعتماد على الفيسبوك المقدارُ الكبير من الناس الذين يَشْملهم البحثُ، وهذا يعني أنَّه حتَّى المجموعات الديموغرافية الأقلّ تمثيلاً على الفيسبوك مثل كبار السنِّ أو الأقلّ تعليمًا يمكن إدخالُهم في الدراسات بأعدادٍ كبيرة أيضًا.

ومع ذلك، فإنَّ استخدامَ معطيات الفيسبوك له عيوب أيضًا؛ فمع أنَّ هناك الكثير من الأدلَّة المهمَّة التي تفيد بأنَّ حسابات الفيسبوك تعكس الصورةَ الفعليَّة وليست المثالية التي يَسْعى إليها الشخص، لكن يجب على الباحثين توخِّي الحذر من أنَّ مُستَخدمي الفيسبوك يمكن أن يقوموا بضبط وإزالة بعض المعلومات من حساباتهم بشكلٍ انتقائيّ بهدف رسم صورة لحياتهم أكثر أو أقلّ مثاليَّة من الواقع.